النوازل الفقهية مصدر هام من مصادر التاريخ

أ. أحمد سعودي
جامعة عمار ثليجي- الأغواط - الجزائر

ملخص البحث باللغة الانجليزية

There is no doubt that the research in general and the historian specifically is considered to be lucky in his mission when ever he has several sources which enable him to deal in general with his research and opens to him a large opportunities and comfort to his research work . so we find that many researchers have a great interest to the process of gathering sources and seeking to make it diverse in the best way to manage it, in order to pay attention to it and use it in devising a lot of important historical facts of Islamic societies.

مقـــدمة:

لا شك أن الباحث بشكل عام والمؤرخ بشكل خاص يعتبر محظوظا في مهمته كلما توفرت أمامه الكثير من المصادر المتنوعة، التي تمكنه من تناول أشمل لموضوع بحثه وتفتح أمامه أفاقا واسعة ورحابة مريحة لعمله البحثي الشاق، ولذلك نجد أن الكثير من الباحثين يولون أهمية بالغة لعملية جمع المصادر والسعي إلى تنويعها وإثراءها بأفضل ما يمكن، بغية الإحاطة بكثير من زوايا الموضوع المراد دراسته.

وإن كان الكثير يعمد إلى استخدام المواد الأرشيفية والكتابات التاريخية والوثائق التاريخية والأثرية التقليدية فقد أغفل الكثير لوقت طويل البحث في زوايا قد تبدو لدى البعض بعيدة عن الحقل التاريخي مثل الفتاوى أو ما يعرف بالنوازل وسجلات المحاكم الشرعية وغير ذلك .وقد تبين الخطأ الجسيم في ذلك الحكم عندما كشفت الدراسات الحديثة ما في هذه المصادر وعلى رأسها «النوازل» من ثروة تاريخية لا غنى عنها لأي باحث ومهتم، جعلت الكثير من المختصين

يصنفونها بأنها واحدة من أفضل مصادر التاريخ الإسلامي، خاصة في مرحلتي التاريخ الوسيط والحديث بالنسبة للغرب الإسلامي بشكل خاص.

فالمتتبع لكتب الفتاوى قد يتبادر إلى ذهنه منذ الوهلة الأولى، أنها لا تتجاوز في موضوعاتها الدراسات الفقهية، إلا أنه عندما يخضعها للتدقيق والتمحيص، يجدها مليئة بالكثير من مظاهر الحياة اليومية، بل هي سجل شامل لجميع مناحي الحياة الفكرية والاجتماعية والاقتصادية والعسكرية وغيرها، مما يستوجب إخراجها من الرفوف وصناديق التراث وخزائن الزوايا واستنطاق مكنوناتها وسبر أغوارها.

وسنحاول أن نبرز في هذه الورقة البحثية، الأهمية البالغة للنوازل الفقهية وكتبها ومخطوطاتها، في مجال واحد من العلوم الإنسانية، ألا وهو الدراسات التاريخية.

فقد عُرف أهل المغرب باستخدامهم لتعبير «النوازل» مقابل إعتماد أهل المشرق لتعبير «الفتاوي»، والذي له مغزاه في التمييز بين الفقه الواقعي وهو «فقه النوازل» ومابين الفقه « الذهني الافتراضي»، ومردُ ذلك إلى كون الفقهاء في بلاد المغرب كانوا أبعد عن المركز التاريخي والسياسي للدولة الإسلامية في منطلق النشأة، إضافة إلى ظهور حالات فقهية جديدة أنتجها الواقع الجديد للمسلمين في تلك البقاع الجديدة من بلاد المغرب والأندلس.

وقد كان للتطورات السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية التي شهدتا بلاد المغرب الاسلامي وبلاد الأندلس على مر السنين والقرون بالغ الأثر على فقه النوازل.

ففقه النوازل يتحرك بحركة المجتمع والحضارة، فكلما تطور المجتمع وتطورت الحضارة تطور معها هذا النوع من الفقه، وكلما عرفت الحركة الحضارية سكونا وجمودا جمد هذا النوع من الفقه، فهو يتطور بتطور الحياة.[1]

وقد عرف هذا النوع من الفقه «فقه النوازل» في الغرب الإسلامي عدة مراحل لكل مرحلة صبغة خاصة، فعلى سبيل المثال: فقه النوازل في العصور المتقدمة للغرب الإسلامي، لاسيما مع تلامذة الإمام مالك من الأئمة الكبار، كيحي بن يحيي الليثي، وزياد بن عبد الرحمن

المعروف بشبطون، والغاز بن قيس، وعبد الرحمن بن دينار وأخيه عيسى بن دينار وأبنائهم وحفدتهم الذين توارثوا الرياسة والفقه في الأندلس أجيالا عديدة، في هذا العهد لم تدون هذه النوازل والفتاوى في كتاب، أو دون بعضها وضاع، لكن كان ينقل بالرواية والسند...

أما في عصر المرابطين كان إتجاه الفروع هو الغالب على فقه النوازل، فتجد النوازل فيها إستدلال بأقوال أئمة المذهب ورجاله....وإذا إنتقلنا إلى مرحلة أخرى، وهي زمن الموحدين كان هنالك تشجيع على الإجتهاد ما جعل كتب النوازل تقفز قفزة أخرى، ذلك أنك تجد في كتب النوازل خلال هذه المرحلة الاستدلال والنظر بشكل واضح[2].

ونظرا لسيادة المذهب المالكي في هذه الجهة من العالم الإسلامي، أي في بلاد المغرب والأندلس وكونه مذهبا رائدا في الأخذ بمصالح الناس وأعرافهم، فإن النوازل تميزت في هذا الجزء من العالم الأسلامي، بتناولها للكثير من القضايا الاقتصادية والاجتماعية الجديدة، التي أخذت في حسبانها خصوصية تلك المجتمعات، مما منحها تميزا واضحا عن نظيراتها في المشرق الإسلامي.

وبذلك تحولت هذه النوازل إلى منجم وكنز تاريخي هام، لا يختلف إثنان في كونه واحدا من أهم مصادر التاريخ الاجتماعي والاقتصادي، ليشهد النصف الثاني من القرن العشرين إقبالا كبيرا من الباحثين والمؤرخين على هذه النوازل ترجمة وتحقيقا ودراسة، ولنبدأ بتعريف النوازل لغة واصطلاحا ثم نعمد إلى إبراز قيمتها كمصدر تاريخي هام.

تعريف النوازل لغة وإصطلاحا:

النوازل في اللغة جمع نازلة، وهي الشديدة من شدائد الدهر تنزل بالناس، والنزول حلول الواقعة أو الحادثة.

قال ابن فارس: النون والزاي واللام كلمة صحيحة تدل على هبوط الشيئ ووقوعه.

ونزل عن دابته نزولا ونزل المطر من السماء نزولا.والنازلة: الشديدة من شدائد الدهر تنزل، أضاف ابن منظور وجمعها نوازل.

أما النازلة إصطلاحا فهي تلك الوقائع والمسائل التي ترفع لأهل العلم طلبا لأجوبتهم فيها، فيقال نزلت لفلان نازلة فرفعها لفلان فأجاب عنها[3].

النوازل الفقهية هي تلك الحوادث والوقائع اليومية التي تنزل بالناس، فيتوجهون إلى الفقهاء للبحث عن الحلول الشرعية لها، ومن ثمة فهي مصطبغة بالصبغة المحلية، ومتأثرة دائما بمؤثراتها الوقتية، وهي مدعاة إلى إجتهاد الفقهاء لاستنباط الأحكام الشرعية الملائمة، عن طريق إستقراء النصوص الفقهية القديمة، وإستنطاقها ومقارنتها وتأويلها[4].

وعليه فإذا كانت النوازل في أصل الإطلاق هي الوقائع فإنه غلب إستعمالها على الكتب والمدونات الفقهية التي تشمل أجوبة المفتين على النوازل في عصرهم وأسئلة قاصديهم، ويختصر الدكتور محمد بن شريفة النوازل في التعريف التالي: النوازل واقعات ومسائل مستجدة تنزل بالعالم الفقيه، فيستخرج لها حكما شرعيا، ويطلق عليها النوازل والفتاوي والأجوبة والأحكام والمسائل وكلها مصطلحات تعكس مفاهيم متقاربة مفادها أن النوازل تعني مايطرأ على الناس من قضايا دينية ودنيوية لم تكن موجودة من ذي قبل وتحتاج إلى حكم شرعي.[5]

أنواعها:

تعتبر كتب النوازل من أكثر الكتابات الفقهية امتثالا للصبغة المذهبية وللخصوصيات الجغرافية والثقافية وكثيرا ما تعكس لنا بوضوح مذهب المفتي ومحيطه بكل تفاصيله وحيثياته من حيث طبيعة المجتمع ومصادره الاقتصادية والعلاقة بين أفراده وهو ما يتجلى أيضا في طبيعة السؤال والسائل، ولا شك أن في كل ذلك مايحضى بإهتمام الباحثين على تنوع إختصاصاتهم من علماء دين ومؤرخين وعلماء إجتماع ولغة وغيرهم.

ولذلك إشتهر كل مذهب بنوازله وفتاواه فكانت نوازل الأحناف كفتاوى أبي بكر البلخي، ومن أبرز نوازل الشافعية، فتاوي إبن تيمية وفتاوى العز بن عبد السلام، أما نوازل المالكية فيسيطر عليها فقهاء الغرب الإسلامي أين يسود هذا المذهب في بلاد المغرب والأندلس، والتي

حظيت بإعجاب الكثير من الباحثين المسلمين والأجانب فيما يصفها المختصون بأنها أكثر مرونة وثراءا وتنوعا لتنوع بيئاتها.

يمكن تقسم النوازل وفقا لعدة أصناف من التقسيم تؤكد الثراء الكبير لهذه المادة البحثية الهامة فيما يلي أشهرها:

1- تقسم النوازل بالنظر لموضوعها إلى نوازل فقهية ونوازل غير فقهية، فالنوازل الفقهية هي ما كان من قبيل الأحكام الشرعية العملية، أما النوازل غير الفقهية فهي مثل النوازل العقدية كظهور بعض الفرق الجديدة....

2- تقسم النوازل باعتبار كثرة وقوعها إلى، نوازل عامة لايسلم من الأبتلاء بها أحد غالبا كالتعامل بالوراق المالية والمعاملات البنكية، ونوازل يكثر وقوعها كالصلاة في الطائرة، ونوازل يقل وقوعها كاللجوء السياسي.

3- تقسم النوازل بإعتبار أهميتها إلى: نوازل كبرى تهم كل الأمة كالحروب ضد المسلمين، ونوازل دون ذلك أي التي تهم بعض المسلمين فقط[6].

4- تقسم النوازل أيضا بناءا على إمتدادها وحيزها الجغرافي، فهنالك النوازل الإقليمية وهي التي يجمع فيها صاحبها فتاوى جهة أو إقليم خاص، قد يضيق أو يتسع ومن نماذج ذلك نذكر «المعيار المعرب والبيان المغرب في فتاوى أهل إفريقية والأندلس والمغرب» لأحمد بن يحي الونشريسي وكتاب« الدرر المكنونة في نوازل مازونة» ليحي بن موسى بن يحي المغيلي المازوني الذي جمع فيه فتاوى تونس وبجاية وتلمسان.

5- النوازل الشخصية وهذا الصنف كثير الشيوع يجمع فيه مؤلفه أجوبته هو، في ماعرض عليه من مسائل أو أجوبة واحد أو أكثر من معاصريه أو سابقيه ومن هذا القبيل فتاوى إبن رشد الجد التي جمعها تلميذه محمد بن حسن الوزان.

6- النوازل الموضوعية وعادة ما يكون هذا النوع رسالة يحررها صاحبها جوابا عن مسألة واحدة عرضت عليه أو كانت تطرح في المجتمع بإلحاح ومن أمثلتها جواب بابا أحمد التنبكتي عن سؤال سعيد قدورة الموسوم« بالكشف والبيان لحكم مجلوب السودان».

7- نوازل الأحكام وهي إضافات من الأندلسيين والمغاربة لفقه النوازل، يتخصص هذا النوع في جمع فتاوى المشاورين بفتح الواو، حيث أحدث الخلفاء والأمراء بالأندلس والمغرب خطة الشورى منذ القرن الثالث هجري، وكانت البداية من قرطبة وتقضى هذه الخطة بأن يعين إلى جانب كل قاض من قضاة الحواضر فقيه أو أكثر يسمى مشاور بفتح الواو، يشير على القاضي كتابة فيما ينظر فيه من مسائل، ومن أمثلة هذا الصنف نوازل أبي مطرف عبد الرحمن بن قاسم الشعبي الملقي نسبة إلى مدينة ملقة بالأندلس[7].

أهمية كتب النوازل في الدراسات التاريخية:

تزخر كتب النوازل بمادة تاريخية غاية في الأهمية إذ تعد سجلا حافلا بجوانب كثيرة من حياة الأفراد والجماعات، وتعمل على الكشف عن كثير من القضايا الفكرية والاجتماعية والتشريعية التي كانت تشغل إهتمامات الناس في حينه، فالنوازل تعنى بما يعترض لأفراد المجتمع من قضايا ومنازعات قضائية تطرح على أهل العلم أو القضاة، ولهذا الأمر أهمية بالغة لا من الناحية الفقهية فقط بل لأنها كذلك تلقي الضوء على كثير من دقائق الحياة الاجتماعية والاقتصادية والفكرية.

ومن أبرز مميزات كتب النوازل، الواقعية والتجدد وتنوع التآليف ومن ثم فهي تمثل دون شك منجما غنيا بمعلومات موازية، يستفيد منها المؤرخ والقانوني والاجتماعي وغيرهم من الباحثين، فهاهي المستعربة الفرنسية ريل آريه والمهتمة كثيرا بدراسة النوازل الفقهية تصرح قائلة: «تشكل هذه الفتاوى أهمية عظمى ليس فقط في مجال الفقه الإسلامي في الأندلس، إنما أيضا في غزارة المعلومات التي تقدمها لنا حول الحياة الاقتصادية والاجتماعية فيه .»[8]

ويدخل هذا الصنف من المصادر التاريخية في إطار مايسمى ب« المصادر غير الأرادية»، أو المصادرغير المباشرة، فهي لم تكتب بنية التأريخ، بل كتبت للتعريف بأحكام الشريعة ولهذا السبب أتت أخباره عفوية .[9]

إلا أن هاته العفوية لاتفقد المعلومة والمعطى التاريخي أهميته لاسيما في ظل الشح الكبير في الكثير من الكتابات حول المناحي الاجتماعية والاقتصادية للدول والمجتمعات في المراحل التي تغطيها هذه النوازل، لاسيما في القرون السابقة إما لضياعها أو تلفها، أو لصعوبة الكتابة في التاريخ الاقتصادى والاجتماعي والثقافي مقارنة بالتاريخ السياسي. فعلى سبيل المثال يذكر الدكتور أبو القاسم سعد الله مايلي: « ورغم أن يحي المازوني لم يؤلف كتابه الدرر المكنونة في نوازل مازونة ليكون كتابا سياسيا، فإنه ضمنه من قضايا العصر وفتاوى الفقهاء أو النوازل ما يكشف عن الحياة السياسية والاقتصادية في الغرب الجزائري وخصوصا ضعف الدولة الزيانية، وكان المازوني قد عاش في ظل ثلاثة ملوك من هذه الدولة وشهد خلال ذلك إلى جانب ضعف البناء الداخلي للدولة وعلاقاتها بالسكان هجمات الحفصيين المتكررة ضد الزيانيين، تلك الهجمات التي وصلت إلى عاصمتهم تلمسان، ومن هذا الكتاب يمكننا الحكم على ضعف بني مرين أيضا لأن المازوني قد أكثر النقل عن علماء وسط وشرق الجزائر وتونس(مدينة الجزائر والقيروان وتونس) بدل النقل عن علماء فاس عاصمة المرينيين....

وقد كانت القضايا التى تحدث عنها المازوني معبرة عن روح العصر، فالنوازل تدور حول مشاكل سياسية واجتماعية خطيرة كان مجتمع القرن التاسع يعاني منها ومن ذلك اللصوصية والظلم والغصب والضرار وتهريب السلاح، والمصادمات الجماعية والأوبئة والمجاعات ونحوها، والحروب والغارات التي لم تسمح للفلاحين بالقيام بزراعة الأراضي وتوفير الأنتاج، وإنعدام الأمن وتراخي قبضة السلطان جعلت الناس يفتقدون العدل في الحكم، ويعتمدون على أنفسهم في نيل حقوقهم، وهكذا أصبح العلماء والقضاة حسب نوازل المازوني، هم الذين يقومون بالسهر على تنفيذ القانون».[10]

وعليه فإن المتتبع لمختلف آراء الباحثين في أهمية كتب الفقه أي النوازل في إستنباط أخبار تاريخية، يلاحظ تأكيدهم الصريح على ذلك وتركيزهم الكبير على أهمية كتب النوازل يقول يوسف شاخت: «إن كتب الفتاوى تكتسي أهمية تاريخية بالغة، لأنها تعرفنا بالمسائل المطروحة في الواقع المعيش، في مكان وزمان معين.» وقد نادى بذلك الكثير من المختصين كعبد الله العروي ومحمد عابد الجابري ومحمد حجي وديفيد باورز وغيرهم...[11]

إلا أننا نؤكد أن إستغلال كتب الفقه من قبل المؤرخين قد عرف تفاوتا كبير، فهناك من إكتفى بالتنبيه إلى أهمية هذه المصادر بصفتها موردا هاما لإستنباط أخبار تاريخية كما فعل محمد عابد الجابري وبيار كيشار الذي عبر عن ندمه نتيجة عدم إستعماله كتب النوازل في بحوثه الجامعية، وهناك من باشر العمل بها مثل سعد غراب، وهناك من جهة أخرى من إستعمل تلك المصادر بترجمة بعضها كفنسان لاكارد، لكن أفضل من إشتغل بهذا الصنف من المصادر وبرهن بنتائج أعماله على أهميتها البالغة نذكر روبير برنشفيك.[12]

فقد تعامل هذا الأخير تعاملا أكاديميا دون عقدة في توظيف النص النوازلي كوثائق لغوية-خبرية في إستقراء أحوال المجتمع، مع التنويه على الأحتراس مع المعطيات التاريخية الواردة فيه[13].

ويجدر بالذكر أن إستفادة الأجيال السابقة من كتب النوازل إنما كانت منحصرة في الناحية الفقهية، غير أن مناهج البحث الحديثة جعلت من كتب النوازل مادة علمية واسعة يستطيع الباحث أن يستخرج منها معلومات جيدة وموثوقة عن جوانب الحياة إجتماعية واقتصادية وثقافية.

يذكر الدكتور محمد بن شريفة أن عددا من المستشرقين تنبهوا إلى أن المؤلفات الفقهية في فروع مثل النوازل والفتاوى والشروط والرسوم العدلية والحوليات الحبسية، تنطوى على أهمية تاريخية واجتماعية واقتصادية وعدوها في جملة الوثائق التاريخية، واعتبروها من المصادر الأخبارية.

أما الأستاذ حسن الحسني عبد الوهاب فيقول: لو أمكن إستقراء المؤلفات المحررة في الفتاوى ومسائل الفقه بفروعه خلال القرن الثامن والتاسع للهجرة بالأقطار المغربية-تونس والجزائر والمغرب – لتيسر إستخراج ما لايحصى من مسائل التاريخ[14].

ولاشك أن كتاب المعيار للونشريسي يعتبر من أهم كتب النوازل، إذ أنه يتم النقص الكبير الواقع في المصادر الموضوعية وبالخصوص من الجوانب الاجتماعية والاقتصادية والثقافية بما يجعله مصدرا لاغنى عنه للباحث.[15]

وقد شهدت الجزائر في السنوات الأخيرة إقبالا لدى الكثير من الدارسين للتاريخ الإسلامي الوسيط والتاريخ الحديث للجزائر، أو الباحثين في مجال الدراسات الفقهية توجها واضحا ودعوة ملحة لضرورة الاهتمام بالكشف عن هذه النوازل وجردها وتقديمها لأهل الاختصاص من باحثين وطلبة دراسات عليا بغية دراستها وتحليلها وكشف ماتزخر به الجزائر وبلاد المغرب من هذه النفائس.

فبالنسبة لدراسة مصادر تاريخ الجزائر والغرب الإسلامي فإن النوازل تشكل مادة مصدرية هامة للمؤرخ والباحث، فقد إهتم الفقهاء بالفتاوى لحل المشاكل التي تعرقل حسن التصرف في توزيع مداخيل الأوقاف، وعلى الرغم من إرتباط هذه الوثائق بالكثير من النواحي الاجتماعية والفكرية والاقتصادية، فإنها لم تحظ بدراسة شاملة من قبل الباحثين والمؤرخين المهتمين بقضايا التاريخ الإسلامي عامة، وتاريخ الغرب الإسلامي على الخصوص.

وقد إعتمدنا على أهم النصوص المعروفة لفتاوى الغرب الإسلامي مثل المعيار للونشريسي ومسائل الأحكام للبرزلي والدرر المكنونة في نوازل مازونة للمغيلي.

ويعتبر كتاب «المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوي أهل إفريقية والأندلس والمغرب» لأبي العباس أحمد الونشريسي (ت914هـ/1508م)، من أهم كتب النوازل الفقهية ومجاميع الفتاوي، فقد خصص المؤلف الجزء السابع لفتاوي الأحباس، حيث تناول مسألة التعليم ومؤسساته، وقد أمدنا بمعلومات قيمة حول الحلق الدراسية بالجوامع والمدارس، وموقف الفقهاء من المشروع المدرسي، وشروط إلتحاق الطلبة بالمدارس وأوقات التدريس وشروط سكنى المدارس، وحكم الأجرة على التعليم، والعطل المدرسية، وعلاقة العلماء برجال السياسة وغيرها من الموضوعات ذات الصلة المباشرة بالتعليم. وتتجلى أهمية المعيار كمصدر أساسي لهذه الدراسة كون صاحبه عاصر الدولتين الزيانية والمرينية ومارس التدريس بمدارس فاس.[16]

ومن كتب النوازل أيضا نذكر مخطوط (جامع مسائل الأحكام)لأبي القاسم أحمد البرزلي (ت824هـ/1438م) الذي عالج مؤلفه الكثير من المسائل والقضايا الفكرية والاجتماعية والدينية وغيرها.

ويعتبر كتابا المعيار ومسائل الأحكام مصدرين هامين للباحث في مجال الفتاوي بكل الغرب الأسلامي...فقد زودانا بأجيال من الفقهاء على مدى سبعة قرون ونيف، وعلى عدد من المراكز الفقهية المغربية المعروفة آنذاك مثل القيروان وتونس وبجاية وتلمسان وفاس وقرطبة وغرناطة.[17]

وتزداد أهميتهما فيما وفراه للمؤرخين والباحثين من رصيد هام في هذا الحقل من الدراسات المجتمعية، والتي من شأنها أن تفتح أفاق جديدة للبحث، وسيسمح بالتالي من تجاوز مواضيع التاريخ الحدثي الذي توفره المؤلفات الإخبارية والاهتمام بأحوال المجتمع بمختلف تشكيلاته وطبقاته، وهذا يعني عمليا التركيز على الإنسان بدل تتبع منطق الأسطغرافيا التقليدية الذي يجعل من تسلسل الدول وتعاقب الحكام محورا للتاريخ.

ويمثل مخطوط(الدرر المكنونة في نوازل مازونة) لأبي أحمد بن يحي المغيلي، أهمية خاصة في تاريخ المغرب الأوسط، غير أن عنوانه غير دقيق، لأن نوازل المغيلي تتصل إتصالا مباشرا بقضايا ومسائل المغرب الأوسط، أجاب عنها فقهاء من تلمسان وبجاية وتونس وفاس وملیانة، وتكمن أهمية نوازل مازونة في القضايا التي تثيرها والتي ترجع إلى النصف الثاني من القرن الثامن، والنصف الأول من القرن التاسع الهجري.

ولا شك أن (نوازل مازونة) تعكس بشكل دقيق أوضاع المغرب الأوسط زمن ضعف سلطة الدولة الزيانية وعجزها عن توفير الأمن وعجزها عن توفير الأمن والاستقرار للبلاد بسبب تأثير أشياخ القبائل والمتصوفة على البوادي وتأليبها ضد المخزن العبد وادي(نسبة لبني عبد الواد).

وقد تناول هذا المصدر الهام، الكثير من المسائل ذات العلاقة المباشرة بالتعليم وأوضاع الأساتذة والمدرسين والطلبة، ومسألة الإنفاق على هذه المؤسسات من الأحباس التي تعرضت هي الأخرى إلى النهب والسرقة وقد أثرت تأثيرا واضحا على الحركة العلمية.

وهناك مجاميع أصغر بالمقارنة مع المعيار وجامع مسائل الأحكام، لكن أهمبتها لاتقل مع ذلك، بل هي تمثل زمن جمعها حصيلة ماهو معروف من فتاوي الغرب الأسلامي في وقت محدد.

وتكمن أهمية هذه النوازل بالإضافة إلى تنوع قضاياها، فيما توفره للباحث من التعرف على مصادر النازلة، وأسماء بعض الملوك والأمراء وعامة الناس الذين أستفتوه في مسألة ما، وعلى أسماء القضاة الذين استشاروه بشأن قضايا كانت معروضة عليهم، وعلى الأماكن التي صدرت منها النوازل.وهكذا تفيد النوازل الفقهية في التعرف على أحوال المجتمع بالمغرب الأوسط نظرا لما توفره من أسئلة تتعلق بتفاعل مكوناته ونشاطه، هذا بالإضافة إلى قضايا تتصل بالحياة الدينية والعلمية للمجتمع.[18]

وقد أثبتت الكثير من الدراسات ما كان للفقهاء الجزائريين من جرأة على التعامل مع الكثير من القضايا حتى السياسية منهم وهذا ما تعكسه ها ته النوازل، يذكر الدكتور ابو القاسم سعد الله: « وكاد يحدث لمحمد بن عبد الكريم المغيلي ما حدث لعبد الواحد الونشريسي، فقد كان المغيلي أيضا يتدخل في الشؤون السياسية والاجتماعية ليس في المغرب فحسب بل في إفريقية جنوب الصحراء ايضا، فنصح أمراء السودان وقاوم نفوذ اليهود ولا سيما في توات، وكان كثير المراسلات مع علماء عصره في القضايا التي كانت تهمه.....[19]

وكان العلماء بصفة عامة ناقمين على تدخل اليهود الاقتصادي والسياسي في الدولة ولكن حماية بعض الباشوات والبايات لهم قد جعل العلماء يبلعون نقمتهم، ويظهر ذلك من خلال بعض الفتاوى التي تبدو قاسية ضد اليهود، فقد عرفنا موقف عبد الكريم الفكون(الجد) من قضية المسمى المختاري الذي تجاوز على الرسول(صلعم) والذي افتى الشيخ بقتله رغم حماية السلطة السياسية في قسنطينة له، وأفتى الشيخ محمد الولي الحنفي بإحراق اليهود والنصارى إذا أعلنوا سب الرسول...

وهكذا يتضح أن مساهمة الجزائريين في العلوم الشرعية مساهمة هامة ولو عثر على كل مؤلفاتهم أوجلها، ودرست دراسة متخصصة ونقدية لخرجنا من ذلك بتراث غزير...[20]

خـــاتمـة:

ينصرف الاهتمام عند الحديث عن الفتاوى إلى الوظيفة المباشرة لها، حتى أن نظر الباحثين إليها لا يجاوز كونها موضوعا فقهيا، يتحرك داخل الرد على أسئلة المسلمين عن أمور دينهم لتستقيم، وعن أمور دنياهم، لتتفق ومقتضيات الدين، أو حتى أسئلة غير المسلمين سواء كانوا من دار الإسلام أو من خارجها.

ويبدو أن أسْر الوظيفة قد غيب أو كاد جانبا مهما، هو أن هذه الفتاوى تُعدُّ سجلا لحياة الناس وإنعكاس صادق وقريب ومباشر لرؤيتهم أنفسهم وللعالم.

إن إرتباط الفتوى (النازلة) بالسؤال يعني إرتباطها بحدث ما، كان صغيرا أو كبيرا، والحدث هو العنصر الأهم في معمار التاريخ، إذن فالتاريخ مكون من مكونات الفتوى، بدونه تكون الفتوى حكما فقهيا فقط، إذ الحكم الفقهي هو حكم في المطلق، لاعلاقة له غالبا مع الحدث.

وتعلو القيمة التاريخية للفتوى كلما حفلت بالعناصر التاريخية، أي أسماء الأشخاص والجماعات والأماكن والأشياء العامة، والأحداث والتواريخ[21].

هذا من جهة ومن جهة أخرى فإن كتب التاريخ التقليدية، عادة ما يتوفر فيه جانب القصد والتعمد، مما يجعل هذا التاريخ العمدي والواعي للأحداث، لا يخلو من عمليات تنقيح أو تجميل لهذا الطرف أو ذاك.

كما أن هذا النوع من الكتابة التاريخية، كثيرا ما يؤرخ لنخبة المجتمع السياسية أو الثقافية أو العسكرية من أمراء وملوك وقادة عسكريين وعلماء ...وفي ذلك كثير من الإقصاء لفئات كثيرة وواسعة من المجتمع قد تكون جزءا هاما في صناعة الحدث، وكثيرا ما تعبر بمشاغلها ومطالبها، عن واقع المجتمع الفعلي في مرحلة تاريخية ورقعة جغرافية معينة، وهذا بالذات ما يميز كتب النوازل، أي تلك العفوية والواقعية والتجرد من الميل والتحيز إلا للحق والقانون.

وعليه فإن دراسة النوازل بإدخالها إلى مجالات بحثية خارج الدراسات الفقهية، سيزيد من حجم الاستفادة منها في مجالات لا تقل أهمية عن الدراسات الفقهية، وبشكل خاص الدراسات التاريخية موضوع هذه الورقة البحثية.

وقد أثبتت معظم الدراسات وهذا من حسن حظنا، أن النوازل في الجناح المغاربي هي أكثر قابلية للاستفادة منها تاريخيا نتيجة واقعيتها الواضحة، وإمكانية ربطها بالزمان والمكان، رغم وجود بعض الصعوبات التقنية والتي على رأسها عدم وجود مسح جردي لهاته الكتب وتخزينها بشكل غير علمى وفي شروط مناخية غير مناسبة لدى الكثير من العائلات أو الزوايا، بل وحتى رفض الكثير منهم تسليمها للباحثين والمخابر العلمية، لأسباب موضوعية أو غير موضوعية.

ولكن ذلك يضع الكثير من الأطراف أمام مسؤولية تاريخية كبرى، باعتبار أن هذا التراث، ليس ملكا للأفراد بل إنه تراث عربي، إسلامي وإنساني، يعبر عن مراحل تاريخية مختلفة، من واجب الكل الكشف عنها بسلبياتها وإيجابياتها، وإبراز لعظمة تاريخ هذه الأمة وسط تشكيك البعض في تاريخ هذه الأمة في مراحلها الإسلامية القديمة .

الهوامش:

1 التمسماني (محمد)، فقه النوازل في الغرب الإسلامي، حوار مع موقع إسلام ويب، بتاريخ 15-05-، 2001.

2 التمسماني (محمد)، المرجع السابق، ص2

3 بن عبد الله الميمان(ناصر)، مراحل النظر في النوازل الفقهية، ورقة عمل لمركز التميز البحثي في فقه القضايا المعاصرة، الرياض، 2002، ص6.

4 الغرناطي (أبي سعيد)، تقريب الأمل البعيد في نوازل الأستاذ أبي سعيد ابن لب الغرناطي، تح حسين مختاري وهشام الرامي، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 2004، ص36.

5 بن شريفة(محمد)، وقائع اندلسية في نوازل القاضي عياض، مجلة دعوة الحق، عدد 264، أفريل-ماي 1987م، ص 94.

6 بن عبدالله الميمان ناصر، مرجع سابق، ص7.

7 جرادي محمد، النوازل التواتية منهجها وخصائصها،

httpM//www.msjidob.com/ub/showthred.php ?t=126

8 محمود زناتي (أنور)، كتب النوازل، مجلة الفقه والقانون، نشر بنتاريخ2011/11/18، ص3 على موقعهاwww.majalah.new.ma

9 الهنتاني(نجم الدين)، جوانب حضارية في تاريخ المغرب الأسلامي الوسيط ص3، www.dirassat socio.new.ma

10 سعد الله (أبو القاسم)، تاريخ الجزائرالثقافي، ط6، ج1، دار البصائر، الجزائر، 2009م، ص 42-43.

11 الهنتاني (نجم الدين)، مرجع سابق، ص4

12 الهنتاني، نفسه

13 برونشفيك (روبير)، تاريخ إفريقية في العهد الحفصي من القرن13 إلى نهاية القرن 15م، ترجمة: حمادي الساحلي، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1988، ص2.

14 حسن حسني (عبد الوهاب)، جوانب من الحياة الفكرية والاجتماعية والاقتصادية بإفريقية في أواخر القرن 5و6 للهجرة من خلال كتاب فتاوى عبد الحميد الصائغ والمازري، مجلة العلم والتعليم، عدد23، تونس1978، ص13.

15 الخطيب (إسماعيل)، أهمية النوازل في الدراسات الفقهية والأجتماعية والتاريخية، مجلة دعوة الحق، العدد316، جانفي-فيفري 1996، ص12.

16 بن قربة صالح وأخرون، تاريخ الجزائرفي العصر الوسيط من خلال المصادر، دار القصبة للنشر، الجزائر، 2007، ص116

17 بن قربة صالح وأخرون، المرجع السابق، ص116

18 بن قربة صالح وأخرون، مرجع سابق، ص.118

19 سعدالله (أبو القاسم)، تاريخ الجزائر الثقافي، ج2، دار البصائر، الجزائر، 2007، ص69.

20 سعدالله، المرجع السابق، ص- ص، 81- 88

21 الحفيان (فيصل)، كتب الفتاوى والتاريخ الأجتماعي للإسلام، معهد المخطوطات العربية، القاهرة، ص1.